**بسم الله الرحمن الرحيم**

**الدرس:** 5 **الأستاذ: سماحة العلامة الشيخ معين دقيق**

**الدرس: تفسير القرآن الكريم** **المبحث: سورة الإنسان**

**التاريخ:19\10\2022 م** **كتبه: عبدالله ضيف الستري**

ما زال الكلام في أداة استفهام التي تصدرت بها الآية المباركة ﴿هَلْ أَتى عَلَى الْإِنْسانِ حينٌ مِنَ الدَّهْرِ﴾ واتضح لدينا عندما وصل المحققون في العصور الأخيرة إلى أن أدوات الاستفهام لم تستعمل مجازاً في المعاني التي ذكرها أئمة البلاغة، وإنما استعملت في معناها الحقيقي، وهو طلب الفهم، لكن الداعي تارة يكون مطابقاً للمعنى المستعمل فيه، وأخرى لا يكون مطابقاً، ولدواعي ليس لها علاقة في الاستعمال. والحقيقة والمجاز من عوارض الاستعمال، والدواعي لها علاقة بالمراد الجدي.

بعض قدماء علماء التفسير يعطي ضابطة جميلة –وهذا التحقيق الذي أشرت إليه لم يكن معروفاً عند القدماء، فبالتالي هذه الضابطة تكون ضابطة عندهم للتمييز بين الحقيقة والمجاز، وعلى هذا الرأي الأخير تكون ضابطة للتمييز بين موافقة الداعي للمعنى المستعمل فيه وبين مخالفته، فهذه الضابطة ضابطة على كل تقدير، وهي جميلة ولطيفة ولا تختص بأداة الاستفهام، بل تشمل التمني والترجي وما شابه ذلك– لو قلنا ﴿وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنْ كَتَمَ شَهادَةً عِنْدَهُ مِنَ اللَّهِ﴾[1]هذا الكلام لو القيناه لشخص وأراد هذا الشخص أن يجيب عليه، ففي مقام الجواب إن كان يعلم فيقول: لا أحد أظلم ممن كتم شهادة عند الله، فتكون من للنفي، وإذا قلت لك هل أتاك حديث فلان، فإن كنت تعلم بهذا الحديث فتقول: قد أتاني. فهل تكون عندهم بمعنى قد مجازاً، وعلى الرأي المختار يكون الداعي هو التحقيق والإخبار بأنه أتاك. وإن كنت لا تعلم فحينئذ تستفهم منه، فيقول لك حديث فلان كذا وكذا.

فإذاً تحديد الداعي على رأي المتأخرين، وتحديد المعنى المجازي المستعمل فيه اللفظ على رأي القدماء، يرتبط بتشخيص الجواب الذي تجيب به، ففي هذه الآية التي نبحث عنها ﴿هَلْ أَتى عَلَى

[1] البقرة 140

الْإِنْسانِ حينٌ مِنَ الدَّهْرِ لَمْ يَكُنْ شَيْئاً مَذْكُوراً﴾ باعتبار أن كل واحد منا يعلم بأنه كان مسبوقاً بالعدم، فسوف يكون الجواب قد أتى، فيكون الاستفهام للتقرير إما استعمالاً وإما داعياً. هذه ضابطة جميلة في هذا المقام.

العسكري في كتاب تصحيح الوجوه والنظائر نسب إلى الزجاج -النحوي المشهور- نسبة في غاية الغرابة: هل أتى على الإنسان معناه أنه قد أتى، أي: لم يأت على الإنسان. وجه الغرابة: جمع بين قد وبين النفي، والمفروض أن هل إذا كانت بمعنى قد فالكلام للإخبار والإثبات، فكيف صار للجحود والنفي.

هذه النسبة التي نسبها العسكري إلى الزجاج ليس لها وجود في إعراب القرآن للزجاج، لا في هذه السورة ولا في سورة الغاشية. بل الشيخ الطوسي ﷺ ما نقله عن الزجاج في تفسير التبيان موافق لما عليه مشهور المفسرين.[2]

المحطة الثانية: في المراد من الإنسان.

أكثر مفسري أهل العامة حملوا الإنسان في هذه الآية على آدم ﷺ، وإن كانوا قد اختلفوا في المدة الزمنية التي لم يكن فيها شيئاً مذكوراً. والمدة سوف يأتي الحديث عنها في المحطة الثانية.

وبعض المفسرين والعلامة الطباطبائي ﷺ حمل الإنسان على الجنس، ومن غرائب الأمور أن كلا الطائفتين يستدلان بقوله بعد ذلك: ﴿إِنَّا خَلَقْنَا الْإِنْسانَ مِنْ نُطْفَةٍ أَمْشاجٍ﴾.

أما الطائفة الأولى؛ باعتبار أن كلا الآيتين في سورة واحدة متتابعة، أن الباري سبحانه وتعالى في البداية ذكر آدم ثم ثنى بأولاده، فيكون قد لم الشمل وجمع تمام أفراد الإنسان، فذكر أصلهم وأباهم آدم ﷺ ثم ذكرهم بقوله: ﴿إِنَّا خَلَقْنَا الْإِنْسانَ مِنْ نُطْفَةٍ أَمْشاجٍ﴾.

أما الطائفة الثانية: كالعلامة ﷺ يقول: الآية الثانية تكون قرينة على تفسير الآية الأولى، إذا كان مسلم أن الإنسان في الآية الثانية بمعنى الجنس الشامل لتمام أفراد الإنسان، فالإنسان في الآية الأولى بهذا المعنى.

---

[2] في هذه المحطات نبدأ بالمفردات ثم بعد ذلك نأتي إلى النتائج واللطائف التي تستفاد من مجموع الآية.

فإذاً نلاحظ أن كلا الطائفتين تمسكا بهذه الآية لتصحيح ما ذهبا إليه في لفظة الإنسان الأولى في هذه السورة.

والفخر الرازي يميل إلى القول الثاني، على الرغم من أنه يذكر كلا الدليلين، لكن لم يأت بشيء يشفي الغليل.

عندما نأتي في مطلع سورة، وفي الأعم الأغلب السور القصيرة إما أنها نزلت بنزول واحد وإما- لا أقل- تكون آياتها المترابطة في مقطع واحد نزلت بنزول واحد. فعندما تأتي هذه السورة، والمفروض أننا نتكلم عن مطلعها ﴿هَلْ أَتى عَلَى الْإِنْسانِ حينٌ مِنَ الدَّهْرِ﴾ لم يتقدم عليها شيء، ولذا في العادة في الآية الأولى -كما كنا نبحث في سورة لقمان- في كل آية نتوقف عند محطة البحث السياقي، أما هذه باعتبار أنها الآية الأولى لا معنى لأن تبحث عن البحث السياقي، وهذا ليس مثل تأليف كتاب انتهى من سورة وبدأ في سورة ثانية لنسأل لماذا هذه السورة الثانية جاءت فيها هذه الآية الأولى، فالأمر ليس كذلك.

فعندما نأتي في مطلع آية ونذكر كلمة الإنسان تكون اللام فيه أقرب إلى الجنس منها إلى العهد، حينئذ -بعد بيان ذلك- يمكن أن نستند إلى الآية الأخرى، أما ابتداء كما يمكن أن يريد المتكلم أن يحدثنا في البداية عن أب الإنسان ثم عن أولاده، ويمكن أنه لا يريد أن يحدث إلا عن الأب لوحده أو عن الأبناء لوحدهم أو عن طبيعة الإنسان وجنسه.

إذاً بهذا البيان تصلح الآية الثانية قرينة على المراد من الآية الأولى، هذا من جهة. ومن جهة أخرى -سوف يأتي- أن مطلع هذه السورة بآياتها الأوائل تهدف إلى وعظ الإنسان، والإنسان يتعظ من عبرة يراها تنطبق عليه وعلى غيره من بني البشر، فلا حاجة للحديث عن خصوص آدم ﷺ، فهذه قرينة أخرى على أن الألف واللام في الإنسان للجنس وليست للعهد.